معاملة المعلم للتلميذ

لا يزال المعلم يحاول أن يوقع فى اعتقاد التلميذ أنه عليم بكل شيء ، وأن التلميذ جاهل بكل شيء ، وهذا مع بطلانه سبيل إلى مضار ، ليس فيه أوخم من عواقبها ، ولا أسوأ من نتائجها ، فأنه يمحو ثقة التلميذ بنفسه ويحدث فيه احتقاراً لعقله ، فيخجل من نفسه ، كالمجرم الذى ارتكب إثما لا يغتفر ، فيقف أمام معلمه خاشع البصر ، مكبور النفس ، وهذه أجلى مظاهر الذل والهوان ، فتلاميذ هذا شأنهم من الذلة والانكسار ، لا ينتظر أن يكون منهم فى المستقبل رجال تجيش بالحرية صدورهم . ذلك فضلا عما تسببه هذه المعاملة البشعة من انطفاء ما يشتعل بذهن التلميذ من لهيب التفكير الذى يجعله الله سراجا للناس يهتدون به فى جميع شئونهم ، والذى لم يزل منذ نشأة العالم الدليل الأوضح إلى مكامن العلم ومسالك الحق ، وأضف إلى ذلك أن التلميذ الذى هذه حاله تضرب على منافذ ذهنه حجب من الخوف والذلة والانقباض ، فلا تستطيع عين ذهنه نفاذا إلى أعماق ما قد ينشره المعلم على التلاميذ من المعلومات ، والمعلم يعلم كيف أن الهيبة والانقباض يكسفان شعاع الفكر ، ولا بد أن يكون قد مر عليه وقت جرب فيه ذلك بنفسه ، ثم يعلم كذلك أنه لا شيء أعون على الفهم من ارتياح النفس وانشراح الصدر إلى ما يلقى عليه ، وإنى لا عجب كيف يقدم المعلم على تعليم تلاميذه لم يطلع على أذهانهم فيعلم استعدادها وفتورها وما يصلح لها وما تميل نحوه وتنزع إليه ، وإنما مثله فى ذلك مثل من يأتيه أحد الناس ليستعين به على قضاء حاجات فى نفسه فلا يتركه يشرح له ما فى صدره ، بل يبادره بقوله : اسكت فإنى أعلم بك منك ، وأقرب منك إلى حاجتك ، ثم يأخذ بضع له كل ما يناقض مآربه ويناقى مطالبه ، وهذا من الضحكات المبكيات . . . . . يجلس التلاميذ سكوتا كأن على رءوسهم الطير ، والمعلم يصب عليهم من أقواله وابلا مدرارا ، ظنا منه أن هذه الكلمات ستصيب من عقولهم مواقع الخصب من الرياض العطاش ، ولم يدر أنها تمر بتلك الأذهان مر الهواء أو السحاب ، يرى المعلم الطفل الصغير لا يبرح يسأله أعلم من الأشياء وأوصافها وفوائدها ، فيعلم عنها ما يعلم بناء على هذه الأسئلة ، ثم يرى أن السؤال لم يزل السبب الطبعى إلى التعلم ، حتى إذا تشوف الإنسان إلى إحدى المجهولات ، راح يسأل عنها كل من لاقاه ، ثم لا يفتر حتى يعلم عنها ما يشفى غليل تشوقه ، فباعث الإنسان على التعلم هو باعث نفسانى . أقول كل ذلك يراه المعلم ثم ، لا يخطر بذهنه أن يحبس من أعمار أقواله المنصبة

على دروس تلاميذه . ويجتهد أن يكون محركا لشوقهم وتطلعهم ومثيراً لأسئلتهم . حتى إذا فعل ذلك استفاد التلاميذ من أجوبته وأقواله . ما يستفيد السائل المشتاق بأسئلته . وهذه كما ذكرنا هي الطريقة الطبيعية للتعليم . ولا يمكن للمعلم إثارة أسئلة التلاميذ إلا إذا أخذ هو يسأل . والسؤال من أكبر وسائل الفائدة في التعليم . فهو الذي يحرك التلميذ إلى البحث والتنقيب فيما يحصل لديه من المعلومات ليفرز ثمينها من ثمنها وصالحها من الفاسد . فتقوى في التلميذ ملكة التمحيص ثم يصير نيرة تفكيره . فيعلم أن لذهنه قوة وفضلا . فتكبر في عينه قيمة نفسه ويشعر أنه إلى أن يكون شريك المعلم وصديقه أكبر من أن يكون عبده ورقيقه . . . والثقة بالنفس إذا لم يمازجها الغرور من أمتن وسائل النجاح . فهي مبعث العزيمة ومثار الحمية ، وجناح ينهض بالنفس إذا قعد بها الملل والسأم . وهي كذلك سيف على أعناق الشك والهيبة والانقباض وهي رائد الذهن إلى منتجعات المعالم ، وقائد النفس إلى غايات الفضل والعلاء . .

إن نظام التعليم يكون شعاره استعباد أذهان التلاميذ واسترقاق نفوسهم هو سم ناقع يتأصل من البلاد روح الحرية وإن تردد خيالها على ألسنة الجمهور ، كما يتردد خيال بعض الكلمات على لسان البيغاء . . وكم أناس نراهم يلهجون بلفظة الحرية ويتحمسون للوطن ويثورون عند ذكره فاذا تلطف الانسان فراقب أحدهم وهو يسير في فلك معيشته ، ترى منه جبنا يدانى تحمسه . وصغارا ومهانة تأباها العبيد الأرقاء . فاذا ينفع ادعاء اللسان إذا كانت القلوب كاذبة . وماذا ينفع مباع الأفواه إذا كانت الأفئدة ملجمة خرساء . وخليت حرية أقفرت منها القلوب فعادت تتردد بين الألسنة والآذان ؟ ! . . . . ؟

عبد الله علي سالم عمر
مدرس بالاسكندرية